مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

العدد الرابع عشر
1997

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1427 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1997 أفرنجي

وصل القوادم بالخوافي
في ذِكر أمثلة القوافي
لِابن رُشَيد السِّبْتي ت (721) هـ

د. علي لغزيوي

تقديم موجز:

يمثل كتاب (وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي) مظهراً حسياً من مظاهر التواصل الثقافي فيما بين المراكز الثقافية في الغرب الإسلامي، من جهة، ومظهراً إيجابياً للحوار العلمي بين العالم وأستاذه من جهة أخرى؛ فأبو عبد الله محمد بن رشيد السبتي الفقيه المحدث الأديب المشارك، صاحب الرحلة العلمية الهامة (ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين: مكة وطيبة)، تَلْمَذَ لأبي الحسن حازم القرطاجني (ت684هـ)، في طريقه من موطنه مدينة سبتة المغربية، إلى المشرق عبر أفريقية، حيث لقيه بتونس في حدود سنة 683هـ على الأرجح[1].

(1) منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم، ص35 من مقدمة التحقيق.

ويبدو أن إعجاب التلميذ الذي لم يكن قد تجاوز الثلاثين بَعْدُ حينذاك، بشيخه الذي كان يومئذ في أواخر حياته واكتمال نضجه الفكري والمعرفي، كان وسيظل كبيراً، وهو ما تلخصه هذه الشهادة التي سجل فيها ابن رشيد نظرته إلى شيخه، ووصف انطباعه عنه فقال:

«أبو الحسن حازم حبر البلغاء وبحر الأدباء، ذو اختيارات فائقة، واختراعات رائعة، لا نعلم أحداً ممن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع، ولا أحكم من معاقد علم البيان ما أحكم، من منقول ومبتدع، وأما البلاغة فهو بحرها العذب، والمنفرد بحمل رايتها أميراً في الشرق والغرب، وأما حفظ لغات العرب وأشعارها وأخبارها فهو حمَّادُ رواياتها، وحمَّال أوقارها، يجمع في ذلك جودة التصنيف وبراعة الخط، ويضرب بسهم في العقليات، والدراية أغلب عليه من الرواية»[2].

لقد اختار ابن رشيد كتاب القوافي لأستاذه حازم[3]، واتخذه موضوعاً للشرح، إلا أنه لم يكتف بالشرح والتوضيح، بل يجمع إلى ذلك ذكر الأمثلة والشواهد لقضاياه وآرائه، ويخرج ذلك بالتعقيب والمناقشة واستعراض مختلف الآراء، مع الترجيح، كما يتميز بتذوقه لعدد من الشواهد الشعرية والوقفات النقدية الطريفة.

واعتماداً على نسخة فريدة من كتاب (وصل القوادم بالخوافي...)، هيأ الله لنا فرصة العثور عليها، قمنا بتحقيقه والتقديم له، وهو جاهز للطبع، ومنه اخترنا هذه المقدمة التي تعد مدخلاً مفيداً يبسط فيها الشارح وجهة نظره في القافية ومفهومه انطلاقاً من تعريفها عند حازم.

والكتاب غني بما سبقت الإشارة إليه، وبما يتضمنه أيضاً من استدراكات

---

(2) رحلة ابن رشيد، مخطوط الأسكوريال رقم: 1737 الورقة 40أ. ونقله المقري في أزهار الرياض: 3/ 172، كما نقل آخرون هذه الشهادة كالسيوطي وغيره.

(3) قمت بتحقيقه اعتماداً على نسخة فريدة توجد بتونس، وصدرت طبعته الأولى بالمغرب سنة 1996م تحت عنوان (الباقي من كتاب القوافي لحازم القرطاجني)، في 60 صفحة من القطع المتوسط.

على عدد من الدواوين المغربية والمشرقية، وكذلك بمنهجه الحي الذي يخرج به عن إطار الكتب العروضية ذات الطابع المدرسي الجاف. ولذلك فإن فائدته لا تقتصر على دائرة علم القافية، بل تتجاوز ذلك إلى مجالات أخرى تجعله في غاية الأهمية.

وتقدم لنا هذه المقدمة صورة واضحة عن شخصية ابن رشيد العروضي، وتبرز قدرته على الجدل والنقاش، وإلمامه بالثقافة العروضية التي تجعله واحداً من أبرز العروضيين في الغرب الإسلامي في عصره، إلى جانب كل من حازم القرطاجني، وابن السقاط، والقللوسي، وابن عبد الملك المراكشي، وغيرهم.

لا أريد أن أقف عند وصف النسخة المعتمدة في التحقيق، ولا عند منهج التعامل معها، فذلك موضعه المقدمة المفصلة لتحقيق الكتاب بكامله[4]، كما لا أريد في هذه المقدمة الموجزة أن ألخص موضوع النص، فالفقرات الآتية كفيلة بإبراز ذلك، بما تقدمه من دلائل على ثقة ابن رشيد بنفسه وعلمه في مخالفته أستاذه، ومجادلته بأدواته المعرفية نفسها الممثلة في المنطق، وفي تعقيبه على آراء كبار علماء القوافي[5]. وأكتفي بالقول إن هذا النص التراثي الجديد قيم ومفيد. وسيكون إخراجه إلى النور كاملاً بإذن الله تعالى إضافة متميزة في المكتبة العروضية خاصة، وفي المكتبة الأدبية العربية عامة. أسأل الله العلي القدير أن ينفع به.

النص المحقق:

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلى الله وسلم على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين]

أحمد الرحـ[ـمن] .....[6]

---

(4) أعني الموجود منه، وذلك على الرغم من تعدد مشكلات النص وما فيه من خروم واضطرابات أمكننا التغلب على معظمها.

(5) لابن رشيد جهود عروضية أخرى سجلها في رحلته ولا سيما في الجزء السابع المخطوط.

(6) فراغ بسبب بتر ذهب ببقية الكلام.

فحا..... وحاد بصر.....[7]

وقائلة عـ[ـلما] وحكما واصـ.....[7]

ورسوله المقرب المجتبى، أعلى الله.....[7]

في جيد المجد عقدٌ يَفُوقُ درّاً وَيَرُوقُ.....[7]

جهاده فما آلَوْا جدّاً ولا ونوا عزماً.....[7]

إنَّ من البيان لسحراً وإنَّ من الشعر لحكماً[8]. وقال عمر بن [الخطاب]..... الشعر، فإن فيه محاسن تُبْتَغَى وَمَسَاوِىء تُتَّقَى[9]. وقال:..... عَلِّمُوا أَوْلاَدَكُمْ الشِّعْرَ تَعْذُبْ أَلْسِنَتُهُمْ[10]. وسُئِلَ المأمونُ عن..... الناس: قيل: يَعْني قراءةَ الشعر. وكان الشعرُ ديوانَ كلام العرب[11]، وبينا..... وعذب، وهو المُعْرِبُ عن لُغاتها، المعرِّفُ ببلاغتها، المقيّدُ لِشَوارِدها، الـ..... لفوائدها، السافرَ عن مقاصدها، وفيه شرحُ الكِتَاب، وشحْذُ الأَلْبَاب، وصقْلُ صدا..... ظَمَاها، وتَخلِيصُ أَسَاليبها، وتَلْخِيصُ عِبَارَاتِها. كان اعتناءُ الناسِ بالمنظوم وعطفُ عنَايَتهم [به] أكْثَرَ من المنثورِ، حتى حَدَسُوا مَحْفُوظَ المنظوم بتسعةِ أعشاره، ومتروكه بِعَشْرِه، وحفوظَ المنثور ومتروكَه بِعَكْسِه[12].

---

(7) فراغ بسبب بتر ذهب ببقية الكلام ومثله الفراغات الآتية على هذه الصفحة.

(8) حديث حسن صحيح، رواه البخاري وأبو داود وابن ماجه والترمذي في أبواب الأدب، وتداولته كتب الأدب العامة.

(9) الممتع في صنعة الشعر للنهشلي: 27 وهو غير منسوب.

(10) العمدة: 1/ 90، برواية: روّوا أولادكم الشعر فإنه يحل عقدة اللسان.

(11) تنسب القولة إلى كل من عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس. العمدة 1/ 90 وعن ابن فارس قال: والشعر ديوان العرب، المزهر للسيوطي: 2/ 470.

(12) فراغ بسبب خرم بمقدار كلمتين أو ثلاث.

ينسب لعبد الصمد بن الفضل الرقاشي، مع اختلاف بسيط في العبارة، البيان والتبين: 1/ 287. وانظر ما يقاربه في العمدة: 1/ 74.

وكانَ مِنْهُ علمُ القوافي بمنزلةِ القوادِمِ[13] والخوافي[14]، فلم يُستغْنَ عن معرفةِ أحكامها، وكيفية نظامها، وما يجوزُ فيها وما يَمْتَنِعُ، وما يَحْسَنُ وما يَقْبَحُ.

وقُدِّرَ أَنْ وقفتُ بحضرةِ تونس، كلأها الله، على أُنموذج فيها لشيخِنا الإمامِ البليغ، بَحْرِ الأدباء، وحَبْرِ البلغاء، أبي الحسن حازم بن محمد بن الحسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطاجني، رحمه الله تعالى، ألمَع فيه لِلأَلْمَعِيّ بأُصولها، وألْمَحَ للنقاب بفصولها، بيد أنَّهُ تَرَكَ جيدَهَا عَاطِلاً مِن حَلي المثل، وكَلَّلَ إيات آياتِها بأكُفِ الكلل، حتى صار كَخبِيّ لاَ يَلُوحُ إلاَّ تحْتَ خبى، اقتفاءَ قَول مَن قال: إن النزوعَ أو النزولَ إلى التَّمْثيل ليْس مِنْ دأبِ الفُحول، والأمرُ وإن كان كذلك ففي المثل إيضاحٌ للسالك، وإفْصاحٌ بالمآخذِ والمسَالِك، وَوُجودُها قد يَتَّأنَّسُ به المهتدي، وعَدمُها يَسْتوْحِشُ منه المبتدي؛ فَرَغِبَ منّي بعضُ الأصدقاء الذين ألْتزمُ حَقَّهُم، وأَعْتَقِدُ في الصداقةِ صِدْقِهم، أَنْ أُطلِعَ ما أفلَ من مُثُلها نجوماً، وأرْصد لِطوارِقِ إيْهامِها رُجوماً، مُقَفِّياً ذلك بِتَفْسيرِ ما أَشْكَل، وتَتْميم ما نَقَص، فَنَقَّبْتُ عَنْها في شُعوب فِكْري، فألقيتُ أكثرَها قد تفلَّتَ عن شرَكِ ذِكْري، فلفَّقتُ مِنْها ما تَيَسَّر، ولَمْ أَلْوِ عَلى ما تَعَسَّر، لِوُجوب إجابَتِهم، وتكرُّرِ رَغْبَتِهم، وأَجَبْتُ بين خَواطِرَ شعَاع، وقَواطعَ أنواع، وفِكْرٍ مُقسَّم، لاَ أَسْتريحُ مِنهُ إلى أَرَج مُتَنَسَّم، وضَمَّنْتُه جُمْلةَ الأصْل، وأَتْبَعْتُه فائدةَ الوَصْلِ، وسَمَّيْتُه:

وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي

وهذا إن شاءَ اللّهُ حين أبدأ، وأستعين بالله ومن حَوْلي أَبْرَأ، واللّهُ سُبْحانه الموَفِّق.

---

(13) القوادم: م. قادمة، ومنه: قادم الإنسان: رأسه. وقوادم ريش الطائر: ريشات في مقدّم الجناح، الواحدة: قادمة. لسان العرب: (قدم).

(14) الخوافي: م. خافية. ضد القوادم. والخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت. لسان العرب: (خفا).

أصل 1: قال المصَنِّفْ رحمهُ اللّهُ تعالى: الحمدُ لله الذي هَدانا لِحَمْدِه، والصلاةُ والسلامُ عَلى نَبيِّه وعبْده، وعلى آلِهِ وأصْحَابه مِنْ بَعْده، والرِّضَى عن الإمامِ السَّري المُنْتَهِج لِسبيله، المُوَضِّع لِقَصْده، والدعاء لِسيدنا ومولانا الخليفة الإمامِ المستنصر بالله، المنْصور بِفَضْل الله، أَمِير المؤمنين أبي عبد اللّه[15] ابنِ الأُمراء الراشدين بدوام نَصْرِه، واتصالِ سعْده، وتأييد كتائبه وجُنْده، وإمْداده في كل حالٍ بِجُنْدٍ من عِنْده، وإسعاد البلادِ والعبادِ بما يَعْمُر الأرجاء، ويَغْمُر الرجاء، من إحسانه ورفده؛ فبإحسانِه تحسن اللَّيالي والأيّام، وبدوام عِزِّه يَدُومُ عزُّ الإسلام، وباتصال سعْده يَسْعَدُ الزمانُ وأَهْلُه، وبانبساطِ دَعْوتِه في البَسيطةِ يَنْبَسِط الأَمانُ ويَمْتَدُّ ظِلُّهُ، أَدَامَ اللّهُ لهُ وبه النِّعمةَ، وأجْرى رَأْيَه السَّديدَ، وأَمْرَه السعيدَ، على سُنَنٍ من التوفيقِ والعِصْمة، وأَثْبَتَ في صُدور الدَّفاترِ، وظُهور المنابرِ، رسَمَه المبارَكَ واسْمَه.

وبَعْدما صَدَّرْتُ به القولَ من حَمْد وثناء، وصلاة ودعاء، أقول إن هذا كتابٌ تَعَيَّنَ بانتهاج الرسم الإمامي المستنصري، وامتثالِ الأمْرِ المطاع العَلي، أن يُقْصَدَ فيه إلى تعديدِ ضروبٍ من القوافي، وإيرادِ النفوسِ المتأدبةِ مَناهلَها الصوافي، يكونُ فيها منفعة لِلأَديب، وترحيبٌ لمجال الشاعر والخطيب، فبادر عبدُ مقامهم الكريم، ومملوكُ إنْعامهم[16] الجسيم، إلى انتهاج ما رُسم له من ذلك، وسلَك في جميع ما اعتمده من ذلك أَوْضَع المسالك، واستقبل نجوم السعد طالعة لائحة، وطيورَ اليمن سانحةً سارحة، حين أطلع في صدر هذا الكتاب نوراً هادياً منْ ذِكْرهم، واستفتحه بعد حَمْد الله بحمدهم وشكرهم، ففاتحتُه وخاتمتُه بيمن خِدْمَتهمْ إنْ شاء اللّهُ ميمونة، والبكرة فيه متحققة بفضل الله[17] مضمونة.

---

(15) هو أمير أفريقية الحفصية، تولى الإمارة بعد وفاة والده أبي زكرياء سنة 674هـ، وتوفي سنة 675هـ، وهو ممدوح حازم، وبرسمه ألف مجموعة من المصنفات.

(16) في الأصل المشروح نسخة: ت: إحسانهم.

(17) بفضل الله: زائدة في الشرح.

وإنَّ مِمّا نُحبُّ أن يُوَطّأ لانتهاج هذا السبر، ويُمَهِد ويُقَدّم بين [يدي][18] هذا المقصد، إلْماعاً بِطرف من الكلام فيما يَتَعَلَّقُ بالقوافي من الشروط والأحْكام.

وصل 1: خُطْبَةُ هذا التَّأليفِ رَأَيْنا ألاَّ نُخْليَ الشرحَ منها لصقالَة ألفاظها، ونصاعة صناعتها، وانتساق معانيها، وحسن رصف مبانيها، وسلامة عقدها من التعقيد، ومحاشاتها من الحوشي والغريب؛ فقد كان شيخنا أو الحسن رحمه الله راية الإحسان، وفارع ذروة البيان، وَلِيَشْمَلَ هذا الوَصْلُ جَميعَ ذلك الأصْلِ.

أصل 2: قال رحمه الله تعالى: فأقول إن القافية في اصطلاح المحققين من أصحاب علم القوافي هي: الأجزاء المتطرفة من بيوت الشعْر التي وُضِعت الحركات والسكنات والحروف الهوائية فيها وضعاً متحاذي المراتب.

وصل 2: يريد، رحمه الله، أنّ حدّه إنما هو لما يُسمّيه أهل علم القوافي: قافية؛ إذ هي موضوع علمهم الذي يتكلمون في عوارضه ولَوازمه، لا ما يسميه أهلُ اللغة قافيةً؛ فإن العربَ قد أطلَقَتْها بضروبٍ من التوسع معروفة في أماكنها، وأمَّا الكلامُ في اشتقاقها فالأَمْرُ فيه يسير، وسيُذكَر بعد ذلك إن شاء الله تعالى، فلنرجع إلى بيان كلامه فنقول: أدخلَ بقوله: الحركات والسكنات، المجرّدَ وغيرَه، ثم جَرَّ بقوله: والحروفُ الهوائةُ، المؤسّسَ والمردفَ، والقوافي منحصرةٌ فيهما، لأنها إما مجردةٌ أو غيرُ مجردة، أو أراد بقوله: الحركات والسكنات، ما ليس بهوائي؛ فيكون أراد به المجردَ خاصة. وأخرج بقوله: متحاذيَ المراتب، ما لم يُوضعْ كذلك من أجزاء البيت غير المتطرفة، لأنها ليستْ موضوعةً على التساوي فقط، بل على التقارب، وإن كان قَد أخْرَجَه بقوله: المتطرفة، ولكنْ أكَّدَ ذلك زيادةً في البيان.

وأراد بقوله: المتطرفة، مِنْ آخرِ البيتِ، وكان الأوْلَى أن يَنُصَّ على ذلك،

---

(18) ساقطة في الشرح، وقد أثبتناها اعتماداً على الأصل المشروح، نسخة. تونس. وانظرها بتحقيقنا تحت عنوان: الباقي من كتاب القوافي لحازم ص35.

ولم يُرِدْ هنا بالأجزاء المتطرفة، مُصطلحَ العروضيين، لأن العروضيين يَخُصّون اسمَ الجزء بِجُزْءِ التَّفْعِيلة، وهذا في عِلْمِ القافية لا يُعْتَبَر، لأنَّ القافيةَ قد تكونُ بعضَ جزء، وقد تكونُ من جزأين، فإنْ قيل إنَّ حَدَّه ليس بجامع لأنه تَخْرُج منه قوافٍ لم تُوضَعْ متحاذيةَ الحركاتِ والسّكَناتِ كجَمْع المتكاوِسِ مع المتراكِبِ والمتدارِكِ في الشعر الواحد، فالجوابُ أنه قَصَدَ حَدّ ماهيةِ القافيةِ بالنَّظَر إلى الأصْل، مُجرَّدَة عن عَوارِض العِلَل والزِّحاف، ولا يُعْتَرَض بوجود هذه المناسبة أو بَعْضِها بِحَقِّ الأصل في سائر البيت، لأن قوله: الحركاتُ والسكناتُ والحروفُ الهوائية، قيودٌ ثوانٍ مَحمولَةٌ على موضوع القيود الأَوَل. وهي قوله: الأجزاءُ المتطرفة، فلا تدخُلُ غيرُ المتطرفةِ وإن شاركتْها في وجودِ بعضِ تلك الأوصافِ فيها بِحَقِّ الأصل. ورُبَّ أصْلٍ قد يُرفَضُ ويُلْتَزَم فَرْعُه. على أنَ قَولَه: الحروفُ الهوائيةُ، كافٍ في الإخراج، لأنَّ ذلك لا يُلْتزَمُ إلا في القافية، إلا أنَّه لا يَعُمُّ جميعَ القوافي إذْ تَخْرُجُ عَنْه المجردة.

تنبيه: كان الأَوْلَى أن يقول: أو الحروفُ الهوائيةُ، لأنَّ ظاهرَ التَّشْريك بالواو مُؤْذِنٌ بالجمع، وأنَّها لا تكونُ قافيةً حتى تَجْمَعَ ذلك التَّحاذيَ كله، وليْسَ الأمرُ كذلك.

أصل 3: لِتتساوقَ المقاطعُ الشِّعْريةُ بالاتِّفاق في جميعِ ذلك تساوقاً واحداً، ويَطّردَ اطّراداً متناسباً.

وصل 3: قَفّى الْحَدَّ بالسَّبَب المُوجِبِ لجَعْل هذه الأشياءِ مُتَحاذِيةَ المَراتِب، وهو وإنْ لَم يَكن ذِكْرُه في الحَدِّ مِنَ الضَّروريات، فَهُو من التَّتِمّات والتَّكْمِلات.

أصل 4: وهي مَقْطعُ البيتِ الذي طَرَفاه ساكنان ليس بَيْنَهما ساكن، أو الذي جُهْلَتُه ساكنان.

وصل 4: شَفَعَ لحَدَّ الأَوَّلَ بثانٍ أَوْجَزَ لَفْظاً منه، إلاَّ أَنَّه استَعْمَل فيه: أَوْ، وهي مَهْجورةٌ في الحُدود. وحَمَلَه عَلَيْه أنَّه جَعَلَ مَدْلولَ قَوْلِه: الذي طَرَفاه ساكِنانِ، كَمَدْلولِ قَوْلِه: الحُروف المُتحَرِّكَة في المَقاطِع التي أَحاطَ بِها ساكِنانِ

ليس بَيْنَهُما ساكِنٌ، فَلَم يَعُمَّ له جميعُ القَوافي، وإنَّما تَضمَّنَ أَنواعاً منها فَأَتى بِـ: (أَوْ) المَمْنوعَة لِتَدْخُلَ الأَنواعُ الخارِجةُ عنه، وكَأَنَّه يقول: القافِيةُ: هذا، أَوْ: هذا. أَيْ منحصِرةٌ فيهما لا تَخْلو عنهما. وقد كان يُمْكِنُ الاكْتِفاءُ بقولِه: الذي طَرَفاه ساكِنانِ، إذْ ليس من لَوازِم الطَّرَفَيْن أَن يَكون بيْنَهُما واسطةٌ، إذْ قد تَكونُ الماهِية مُرَكَّبَةً من شَيْئَيْنِ لا وَسَطَ بينهما، فكُلُّ واحد منهما طَرَف، فوُجود الوسَط ليس بلازِم، لكنْ لمَّا كان حيْثُ يوجد داخلاً في حقيقَةِ القافِيَةِ، وكان أَكْثَرِيّاً أتى بِـ: أَوْ[19].

تنكيت: قولُه: ليس بينَهُما ساكِنٌ، حشْو، لأَنَّه إذا دخَلَ بيْنَهُما ساكِن فذلك الساكِنُ الثاني هو الطرف الذي يُعْتَدُّ به في القافِيةِ لا الذي قَبْلَه، فكان يَليقُ به أن يَقول: وهُو مَقْطَعُ البَيْت الذي طَرَفاه ساكِنان مُتَّصِلان، أوْ يَليهما فاصلٌ، ولا يَحْتاج أنْ يَقول: فاصل مُتَحرِّك، لأنَّ الفاصِلَ إنْ فُرِض ساكِناً عاد الكَلامُ فيه عَلى أنَّه مُتَعَذِّر.

وقَد كان شَيْخُنا أبو الحسَن عَليُّ بنُ مُحمَّد الكتامِيُّ التلْمسانيُّ[20]، شَيْخُ الأُسْتاذينَ القَرَأَةِ في عصْرِه عموماً، وإمامُ هذه الطَّريقَةِ خصوصاً، يُقرِّبُ في رَسْمِها ويقول: القافِيةُ من آخِرِ ساكِنٍ في البَيْتِ إلى أَوَّلِ ساكن يَليه، يعْني العَكْس، ويقول: هذا هُو مَذْهَبُ سيبويه[21]، وهو مَعْنى ما ذَهَب إلَيْه المصَنِّفُ.

---

(19) تظهر في مناقشة ابن رشيد لمفهوم القافية عند أستاذه حازم آثار المنطق واضحة في المنهج والمصطلح.

(20) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الكتامي الضرير، من أهل تلمسان، ويُعرف بابن الخضار، ولد سنة 571هـ. وتوفي سنة 676هـ. اجتاز إلى سبتة، وأقرأ بها إلى أن توفي. كان معتمداً في تجويد القرآن الكريم، عالماً بالعروض، أخذ عنه ابن رشيد والقللوسي وغيرهما. وأخذ ابن رشيد أيضاً عن أخيه أبي عبد الله محمد كما سيذكر ذلك فيما بعد. انظر عن أبي الحسن: برنامج التجيبي: 16. برنامج الوادي آشي: 128. غاية النهاية: 1/ 578.

(21) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قُنْبُر (أو: قَنْبَر) المعروف بسيبويه، نشأ بالبصرة، وبرز في النحو، أخذ عن الخليل ويونس بن حبيب وغيرهما، وعُرف بكتابه الذي صنفه في النحو، ولا مثيل له، عاش في القرن الثاني للهجرة، واختُلف في تاريخ وفاته ما بين: 161هـ، و188هـ و194هـ. انظر عنه: طبقات النحويين واللغويين: 66 رقم: 22. نزهة الألباء في طبقات الأدباء: 35ـ39. رقم: 21.

وهذا الذي عَزاه إلى سيبويه لا أَعْرِفُ من أَيْنَ نَقَلَه، والشَّيْخُ ثِقةٌ مُسلَّمٌ له في هذا العلْم، وقَوْلُه حُجَّةٌ، على أَنَّ بَعْضَهُم قال: لا يَصِحُّ عن سيبويه شيْءٌ إلاَّ ما في الكِتاب. وهي شَهادَةٌ على نَفْي، وحُكْمُها معْلوم.

وذَهَبَ الأَخْفَش[22] إلى أنَّ القافِيَةَ آخِرُ كلمَة في البيْت[23]، وهذا المَذْهَبُ مُتَساهل فيه غاية، لأنّه إنْ قَصَد نَقْلَ اللُّغَة فليْس مُراده، وإنْ قَصَد الاصْطِلاحَ فذَلك غَيْرُ سديد.

وذَهَب الفَرَّاء[24]، وتَبِعَه قُطْرُب[25] إلى أنَّها الرَّويُّ الذي يُبْنى عليه الشِّعْرُ، فَجَعَلَهُما مُترادفين، وسَبيلُه في الْوَهْي سبيلُ مَذْهَبِ الأَخْفَش.

وقال ابن كيسان[26]: القافية كل ما يلزم إعادته في آخر البيت[27].

ونُقل أيضاً عن أبي موسى الحامض[28]: يعني من حركات وسكنات

---

(22) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط، أحد أئمة النحويين البصريين، أخذ عن سيبويه وعمن أخذ عن سيبويه، له مصنفات في النحو والعروض والقوافي، أخذ عنه أبو عمر الجرمي، وأبو عثمان المازني كتاب سيبويه، انظر عنه: طبقات النحويين واللغويين: 72. ونزهة الألباء: 84 ـ 85، رقم: 36.

(23) كتاب القوافي للأخفش: 3.

(24) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، سكن الكوفة، وأخذ عن الكسائي، كان من علماء العربية، ماهراً في النحو، توفي سنة: 207هـ. طبقات النحويين واللغويين: 131 ـ 133، نزهة الألباء: 59 ـ 63. رقم: 31.

(25) هو أبو علي محمد بن المستنير البصري، المعروف بقطرب، من علماء اللغة والنحو، أخذ عن سيبويه، وعن جماعة من البصريين، وكان يذهب إلى الاعتزال، توفي سنة: 206هـ. من مؤلفاته: كتاب معاني القرآن ـ كتاب الأصوات ـ كتاب النوادر ـ كتاب القوافي ـ كتاب العلل، في النحو. . . . طبقات النحويين: 19 ـ 100. نزهة الألباء: 56، رقم: 20 أو 28.

(26) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كَيْسان النحوي، أخذ عن المبرد وثعلب، وكان عارفاً بمذهبي البصريين والكوفيين، من مصنفاته: المهذب في النحو، شرح الطوال. تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها، طبقات النحويين واللغويين: 153، نزهة الألباء: 143، توفي ابن كيسان سنة 289هـ.

(27) تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها.

(28) هو أبو موسى سليمان بن محمد بن أحمد البغدادي المعروف بالحامض (ت305هـ) أخذ عن ثعلب، وخلفه في مجلس الدرس بعد وفاته، قيل سمي الحامض لشراسة خلقه، كان نحوياً يتعصب للبصريين، عارفاً بالعربية عالماً بالشعر. طبقات النحويين واللغويين: 152، نزهة الألباء: 146، أنباه الرواة: 242، بغية الوعاة: 262.

ومتحركات وسواكن لا بعينها، أو بعينها في بعض المواضع، كالتأسيس، والردف، والوصل، وكأن ابن كيسان هو الذي أراد أن يحدَّ القافية الصناعية، لأن ما يلزم وما لا يلزم هو الذي يتكلم فيه صاحب هذا العلم.

وقد ألمَّ في هذا الحد بالمذهب المنسوب إلى سيبويه من بعض الوجوه، لأن أقصى ابتداء اللزوم في آخر الأبيات من الساكن الذي لا يأتي بعده إلا ساكن واحد فقط، أو مع الحركة التي قبله في المردوف والمؤسس، وإن خالف من آخِر، ألا ترى أنَّ مثال قافية المتكاوس لا تلزم مع تسميتها قافية عند الجميع، فيخرج عن حده بعض أنواع القوافي.

وقد يُجابُ عنه بأنْ يُقال إنّ ابْنَ كَيْسان لا يُسَمِّي مجموع المتحركات الأربعة مع الساكنين اللذين يكتنفانها قافِيةً، وإنما يُسَمِّي منها قافيةُ الرويِّ فما بَعْدَه، وهو القَدْرُ الذي يلزم، ولا يرد علينا كونه يسميها قافيةَ المتكاوِنس، فإن هذا كما تقول: قافية الهمزة، أي القافية التي فيها الهمزة، وكذلك هذه، أي القافية التي فيها الحركات الأربع، والتي تجتمع معها ثلاث الحركات وثلثاهما حسبما يتبين في اشتقاق المُتَكاوِس بَعْدُ.

أصل 5: والمتحرّكُ الذي قبل الساكن الأول من جميع هذه القوافي يُعَدُّ من القافية.

وصل 5: ذكر هذا الفصل بعد ذكره صور القوافي، لكن قدمناه لأنه أحق بالتقديم لتناسب الكلام، وهذا الذي زاده في الحد هنا هو مذهب مؤصل هذه الصناعة الخليل بن أحمد[29] رحمه الله تعالى، وإليه ذهب الجرمي[30]، ونقل

---

(29) الخليل بن أحمد هو أبو عبد الرحمن بن أحمد البصري الفراهيدي، أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحصر أوزان أشعار العرب. له كتاب العين، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه سيبويه، توفي سنة 160هـ، طبقات النحويين واللغويين: 46، نزهة الألباء: 27.

(30) الجرْمي: هو أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي (ت225هـ)، أخذ عن الأخفش ويونس بن حبيب وأبي عبيد والأصمعي، كان نحويَّ عصره، ومن مصنفاته: اختصار في النحو. طبقات النحويين واللغويين: 74، نزهة الألباء: 90.

عنهما أيضاً الحركة دون الحرف، بأنه إنما يلزم إعادة الحركة لا المتحرك من حيث إنه جيم مثلاً، أو غيره من حيث هو متحرك لا بعينه. وهذا التحديد لا معنى له إذ لا يلزم أيضاً حركة بعينها فيما قبل الساكن الذي هو مبدأ القافية، وإن لزم ذلك مع التأسيس والردف فبوجه، وعى حسبما يتبين فليس بلازم (198) في كل القوافي، وإنما لزم طبعاً لا وضْعاً فتأمَّلْ ذلك، وفيه نظر.

وبالجملة فالأشياء المختلفة الحقائق لا تدخل تحت حدّ واحد، وكلها لا تسلم من النقد. وقول الخليل رحمه الله تعالى، وما عُزي إلى سيبويه، أسلم الأقوال، لأنَّهُمَا حَدَّاً ما يُسَمَّى قافية في رأيهما، لاَ ما يَلْزَم.

على أَنَّ بَعْضَ النُّظَّارِ تَأَوَّل كَلاَمَهُمَا أَنَّهُما أرادا أنَّ القافيةَ هذا موضعُها، لا أنَّهما أخْبَرَا عن حقيقتها، لما يَلزم من إدخالِ ما ليس من القافية فيها مِمَّا لا يُلتزم، وإن هذا يُضْعفه أن الظاهر قَصْدهما لحدِّ القافية، وإلا فيكونان قد تركا المهم وأتيا بغير المهم.

وقد أعرب ابن جني[31] في الْمُغْرِب[32] عن القول في حجج هذه المذاهب فليُنْظر هناك، وقد يُتصنّع لتوجيه هذا المذهب الذي يُعزى لسيبويه بأن ما يجب فيه مراعاة التناسب في الأمر العام، أو يتأكد، هو ما بين الساكنين اللذين في مقطع البيت، وإن وقع التزامُ حركةٍ قبل الساكن الذي هو مبدأ القافية فليس هو حيث يُرى قافية، بل من حيث إنه لا بد من حركةٍ قبل الساكن، إذ لا يجتمع ساكنان في حشو بيت، فليس لأمر يخص القافية، فظهر أنه الأحقُّ أن يُصطلحَ عليه بالقافية، إذ اللغة قد وُجد فيها إطلاقُ القافية على القصيد كله، وعلى البيت الواحد، وعلى كلمتين من آخره، وعلى كلمة، وعلى رويه، تسميةً للشيء ببعضه أو بِمُلازِمِه، ومع هذا فلا يَخْلو من المسامحة، لأنه إنْ حَذَفَ ذِكْرَ

---

(31) هو أبو الفتح عثمان بن جني، (ت392هـ) عالم لغوي نحوي عروضي، صاحب كتاب الخصائص، وله مشاركة في العروض والقوافي والشروح، نزهة الألباء: 197.

(32) المقصود كتابه: المُغرِب في شرح القوافي، وقد شرح فيه ابن جني قوافي أبي الحسن الأخفش، وهو في حكم المفقود، ويحيل عليه في كتابه الخصائص: 1/ 84.

المُتَحرِّك أو الحَرَكة مُطلقاً من حدِّ القافية نقص الحذو[33] والرس[34]. ولا خفاء أنهما مما يَتكلم فيه صاحبُ عِلم القافية، وأنه مِن موضوعه، وقد يقرب في هذا بأن يُقال: لمّا لزِمَت في بعض المواضع مطلقاً، لقَّبوها وضعاً.

تحقيق: قد صحَّ إطلاقُ العَرَبِ قافيةً، ولا بد لها الاسم من مُسَمّى، فَرَأْينا المنْقول قد اختَلَف مُسَمّاه والأمر مُشتَرَك، والأصلُ في الإطلاقِ الحقيقةُ وعدَمُ الاشْتِراك، فتَعيَّن ادِّعاء المجاز في بعضها، فحاصل ما ذهب إليْه المُختَلفون: ما الأَحَقُّ من هذه الإطْلاقات أَنْ تُريدَ به العرَبُ الحقيقة؟ فكلٌّ رأَى أَنَّ الأَحَقَّ ما ادَّعاه مَحَلاً للحقيقة. هذا إنْ قصدوا نسبةَ ذلك للعَرَب، وإنْ أرادوا: ما الأَحَقُّ أن يُصطَلَح عليه في الصِّناعةِ فالقَوْلُ ما قاله ابن كَيْسان.

والقافيةُ مُشتقَّةٌ من: قفا يقْفو: إذا تبع، لأنها تقفو ما تقدم من أخواتها[35]، أو تكون فاعلة بمعنى مفعولة، كعيشة راضية، أيْ أنَّ الشاعر يقْفوها لأنها تَجري في أوَّل بَيْت، ثُم يتبعُها الشاعر على السجية[36].

المصادر والمراجع:

1 ـ **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، أبو العباس المقري، الجزء الثالث، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب: 1398هـ/ 1978م.

2 ـ **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المكتبة المصرية: 1950 ـ 1955م.

3 ـ **الباقي من كتاب القوافي لحازم القرطاجني**، تحقيق الدكتور علي لغزيوي، الطبعة الأولى: 1996، التصفيف الضوئي، دار النشر الأحمدية، الدار البيضاء، المغرب.

(33) الحذو: الحركة التي قبل الردف، لسان العرب، مادة: حذو.

(34) الرس الفتحة التي قبل ألف التأسيس، وهي مما يلتزم. لسان العرب، مادة: رسس.

(35) انظر لسان العرب، مادة: قفا.

(36) هذا متفق عليه بين جميع المؤلفين في القوافي.

4 ـ **برنامج التجيبي**، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس: 1981.

5 ـ **برنامج الوادي آشي**، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1981.

6 ـ **بغية الوعاة**، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: 1964 ـ 1965م.

7 ـ **البيان والتبين**، الحاجظ، تحقيق حسن السندوبي، دار الفكر، بيروت.

8 ـ **تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها**، ابن كيسان، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مجلة المستنصرية، العراق، العدد: 2/ 1971م.

9 ـ **الخصائص لابن جني**، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية: 1952م.

10 ـ **رحلة ابن رشيد السبتي**، ملء العيبة...

11 ـ **طبقات النحويين واللغويين للزبيدي**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر: 1973م.

12 ـ **العمدة لابن رشيق القيرواني**، تحقيق الدكتور محمد قرقزان.

13 ـ **غاية النهاية في طبقات القراء أولي الدراية**، ابن الجزري، القاهرة: 1932م ـ 1933م.

14 ـ **كتاب القوافي للأخفش**، تحقيق أحمد راتب النفاخ، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى: 1394هـ/ 1974م.

15 ـ **لسان العرب لابن منظور**.

16 ـ **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين**، مكة وطيبة، مخطوط الأسكوريال، رق: 1737 (مصورة خاصة).

17 ـ **الممتع في صنعة الشعر للنهشلي**.

18 ـ **منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني**، تحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، الطبعة الثانية: 1981، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

19 ـ **نزهة الألباء في طبقات الأطباء لأبي البركات الأنباري**، تحقيق الدكتور عطية عامر، الطبعة الثانية، 1962م، استوكهولم.

إصدارات جديدة

د. عبد الحميد الهرامة

تطالعنا المطابع بالجديد في عالم التأليف والتحقيق والترجمة، ولئن كان المجال لا يتسع لكل ثمرات المطابع في حيز صغير كهذا فإننا نوجز الحديث عن طائفة منها تباعاً على صفحات هذه المجلة:

1 ـ بعد طول انتظار صدر سنة 1995 إفرنجي (كتاب التبيان) للأمير عبد الله بن بلقين، آخر أمراء بني زيري، عن دار عكاظ بالمغرب، بتحقيق وتعليق الدكتور أمين توفيق الطيبي في (294 صحيفة).

ويعد هذا الكتاب المصدر الرئيسي لمعلوماتنا عن أحداث العشرين سنة الأخيرة من فترة ملوك الطوائف كما يقول المحقق، وهو معرض مهم لأحداث القرن الخامس الهجري لمؤلف ثَبْتٍ وشاهد عيان، له تجاربه الشخصية وإسهاماته العقلية في أحداث تلك الفترة.

أما المحقق فهو العالم والمؤرخ الثبت الدكتور/ أمين توفيق الطيبي، الذي تشهد له ميادين البحث العلمي التاريخي بالأمانة والدقة في تحمل رسالتها، الأمر الذي انعكس إيجاباً على تحقيقاته ودراساته المتعددة.

وأسلوب الكتاب سلس مرسل، عمد فيه المؤلف إلى جلاء المعنى والابتعاد عن زخرف القول الضار بالمعنى والمخل بالحقيقة.

2 ـ كما صدر عن منشورات جمعية (تطوان اسمير) كتاب (مختصر نزهة الأفكار وحلة الأبرار) لمؤلف مجهول بتحقيق د. جعفر بن الحاج السلمي سنة 1996 إفرنجي. والكتاب في مناقب الشيخ عبد القادر التبين الغرناطي والفخار السبتي، وهما من الشخصيات الصوفية والعلمية بالغرب الإسلامي، وفي إخبارهما حديث عن الأشياخ والعلوم التي أُخذت عنهم،

وبعض الحكم الصوفية، وقد عنى الأستاذ المحقق بدقة التحقيق وإثراء الهوامش وتنويع الفهارس، الأمر الذي أكسب الكتاب قيمة إضافية مشكورة.

3 ـ صدرت عن دار النورس بالمغرب الطبعة الأولى من كتاب (مفتاح علم الميراث) و(منهج المراغي في التفسير) للأستاذ الصديق علي أوهيبة. يتناول الأول منهما بإيجاز وتركيز الموضوعات الرئيسية في علم الميراث ويقع في 131 صفحة من القاطع الصغير.

أما الثاني فهو رسالة ماجستير نوقشت في طرابلس سنة 1982 إفرنجي، ويتناول تمهيداً وعرضاً تحليلياً لفصول تفسير المراغي، وتتبعاً لأبرز موضوعاته.

والأستاذ/ الصديق ممن تخرج في الجامعة الأزهرية بكلية الشريعة والقانون، وعمل في سلك القضاء والنيابة والتعليم الجامعي بالجماهيرية، وأكمل دراسته للدكتوراه بالمغرب الشقيق.

4 ـ صدر عن دار الحكمة بطرابلس في مطلع هذا العام 1997 إفرنجي. كتاب (صيام ستة أيام من شوال وحكم نيابة قضاء رمضان عنه) للأستاذ الدكتور فاتح محمد زقلام أمين قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية، في (26) صفحة من القاطع الصغير تناول الكتاب جملة من القضايا محورها حكم تأدية صوم هذه الأيام بقضاء دين من رمضان أو غيره، والمسألة خلافية انتصر فيها المؤلف للأخذ بالأحوط مستخدماً في ذلك أدلة عقلية ونقلية، وأظهر فيها قدرته على البرهنة واستذكار المسائل من مصادرها الموثوقة مما يدل على إمكانيات مشرفة في البحث والإقناع والتوثيق.

وقد صدر للدكتور فاتح في العام الماضي كتابه القيم الموسوم بـ (الأصول التي اشتهر انفراد إمام دار الهجرة بها)، ضمن منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ويقع في ما يقرب من ستمائة صفحة تغطي تفصيلات موضوعه بكثير من الدقة والتتبع العلمي المستفيض.